

النَّهَارُ

عناصر الموضوع

٤٣٦	مفهوم النهار
٤٣٧	النهار في الاستعمال القرآني
٤٣٨	الألفاظ ذات الصلة
٤٤٠	حكمة اقتران النهار بالليل
٤٤٢	النهار آية كونية
٤٤٩	القسم بالنهار
٤٥٢	أجزاء النهار
٤٥٥	النهار والعبادة
٤٥٩	النهار والعذاب
٤٦٢	النهار والسعي للمعاش
٤٦٥	النهار والدعوة إلى الله تعالى
٤٦٨	لمسات إعجازية في النهار

مفهوم النهار

أولاً: المعنى اللغوي

النهار مفرد، وجمعها أنهر ونُهرٌ، ونهر والنهر هو الأخدود الواسع، وما يجري في الأخدود، ونهر أي زجر من الماء، وأنهر الدم: أي جعل الدم يجري جريان الماء في النهر، ومن المعاني أيضاً الضياء، والسعة في الرزق والمقام والمكان، والمقصود بالنهار الضياء الواسع ممتد ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والنهار ضد الليل، يقال: طرفي النهار: أي: أوله وآخره^(١).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي

ذكر العلماء عدة تعريفات اصطلاحية لا تخرج في مضامينها عن التعريفات اللغوية لكلمة النهار، ومن هذه التعريفات ما يأتي:

قال الألوسي: النهار هو «ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس»^(٢).

وقال ابن باديس: النهار «هو الوقت الذي يتجلى على جانب الكرة المقابل للشمس فتضيؤه بنورها»^(٣).

وبعد النظر في التعريفين السابقين، يمكن القول بأن التعريف الأدق للنهار بحسب الأصل هو الفترة الزمنية المبدوءة بطلوع الشمس، والمنتهاة بغروبها، أما بحسب الشرع فهو: الفترة الممتدة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس^(٤).

(١) انظر: تاج العروس، الزبيدي ٣١٨/١٤، معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر ٢٢٩٢/٣، معجم وتفسير لغوي لألفاظ القرآن، حسن الجمل ١٢٢/٥.

(٢) روح البيان، ٢٢٢/٦.

(٣) انظر: تفسير ابن باديس ص ٤٥.

(٤) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٨٢٦، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ١٢٨/٥، روح المعاني، الألوسي ٥٨٩/٨، الموسوعة القرآنية، الأبياري ٥٧٤/٨.

النهار في الاستعمال القرآني

وردت كلمة (النهار) في القرآن الكريم (٥٧) مرة ^(١).
والصيغة التي وردت، هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
التعريف	٥٤	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ﴾ [لقمان: ٢٩]
التنكير	٣	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥]

وجاء (النهار) في القرآن بمعناها اللغوي، وهو: ضد الليل، وهو الوقت ما بين طلوع
الفجر - أو الشمس - إلى غروب الشمس ^(٢).

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص ٧٢٠-٧٢١، المعجم
المفهرس الشامل، عبد الله جلغوم، باب النون ص ١٣٤٨-١٣٤٩.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ١٢٨/٥، عمدة الحفاظ، السمين الحلبي، ٢٢٥/٤.

الألفاظ ذات الصلة

١ اليوم

اليوم لغة

يوم مفرد، جمعها أيام، ويعني المدة من وقت طلوع الفجر إلى غروب الشمس^(١).

اليوم اصطلاحًا

هو مدة زمانية يختلف مقدارها بحسب مراد المتكلم^(٢).

الصلة بين النهار واليوم

أن اليوم يطلق على فترة النهار فقط، ويطلق على مجموع فترتي النهار والليل.

٢ الضياء

الضياء لغة

أصلها ضوء قلبت الواو إلى ياء لمناسبة الكسرة قبلها^(٣)، والضوء هو الإنارة الناجمة عن مصدر ذاتي الإشعاع^(٤).

الضياء اصطلاحًا

هو الإشعاع الشمسي الذي يؤثر في العين فيمكن المبصر من الرؤية^(٥).

وقال الراغب: «الضوء ما انتشر من الأجسام النيرة»^(٦).

الصلة بين النهار والضياء

أن الضياء يطلق على الأشعة المنبثقة من الشمس، فتسبب الرؤية، أما النهار فهو الفترة الزمنية التي تضيء خلالها أشعة الشمس القسم الذي يواجهها من الكرة الأرضية.

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر ٢٥٢٢/٣.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: جمهرة اللغة، ابن دريد ١٠٧٨/٢.

(٤) انظر: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي ١١٠٩/٢.

(٥) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر ١٣٧٣/٢، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة

للإيمان بالله، عبد الله الجربوع ٧٤٧/٢.

(٦) المفردات ص ٥١٤.

الصباح لغة

هو أول النهار، والصباح مفرد، والجمع أصباح، ويقابل الصباح في الأزمنة المساء^(١).

الصباح اصطلاحًا

هو أول النهار، ويحدد بالفترة التي تسبق أو تلي شروق الشمس مباشرة^(٢).

الصلة بين النهار والصباح

أن الصباح جزء من النهار، فهو أول النهار، بينما يمتد النهار لفترة أطول، فهو يبدأ بالصباح، ثم يمر بالظهيرة، ثم العصر، ثم يمتد إلى آخر النهار.

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ١٦٨/٣.
(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر ١٢٦٢/٢.

حكمة اقتران النهار بالليل

من حكمة الله تعالى البالغة أن ساق لعباده الآيات الباهرة الدالة دلالة قطعية على وجود الخالق - جل وعلا - وعظمته، ومن هذه الآيات المتعددة والمتنوعة، آيتا الليل والنهار^(١).

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ أَلِيلٍ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَاهُ نَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

ومما لا ينكره عاقل ما لليل والنهار من أهمية بالغة في حياة المخلوقات، فبالليل يكون السكون، وبالنهار يكون السعي، وبهما معًا يكون الحساب الدقيق للأوقات، ومعرفة الأيام والأشهر والسنين، ولولاهما لما ضبطت المواعيد، ولعمت الفوضى، ولاضطربت أحوال الخلق.

ونظرًا لما تقدم فقد جاءت العديد من آيات القرآن الكريم مقرنة بين الليل والنهار، ولعل الحكيم من ذلك ما يأتي:

١. الاستدلال على ربوبية الله تعالى، واستحقاقه الألوهية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِلَافِ أَلِيلِ وَالنَّهَارِ وَالْقُلُوبِ الَّتِي تَجْرِي

فِي الْبَحْرِ يَمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَنْحَا بِهِ الْأَرْضَ بِعَدِّ مَوْتٍ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

يذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة جملة من الأدلة المشاهدة المحسوسة، والتي بدورها تبرز وتثبت لكل عاقل يستعمل عقله في التفكير والتدبر والربط والاستنتاج؛ أن الربوبية له تعالى وحده دون سواه^(٢). ومن خلال النظر في الآية السابقة يلاحظ ما يأتي:

✽ أن الله تعالى يرشد عباده إلى أحقيته بالألوهية وحده دون سواه، ويظهر ذلك من خلال عرضه جل وعلا لجملة من الآيات الكونية ذات الصلة الوثيقة بعميشة الخلق، وقضاء حوائجهم، وكأنه سبحانه يقول لعباده إن أعظم ما ينفعكم لهو من صنعي، فلا تُعرضوا عن عبادتي، ومن المعلوم أنه لا غنى للعباد عن ليل ينامون فيه، ولا عن نهار يصرون فيه دروبهم، ولا عن التنقل البحري بواسطة الفلك، ولا عن مياه الغيث الذي يجلب أنواع الرزق، ولا عن الرياح الطيبة النافعة.

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ١٨٤/١.

(١) انظر: لباب التاويل، الخازن ٣/ ١٢٤.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَلَّلَهُ أَتَيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكَرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

يبين الله تعالى لعباده أنه سخر لهم نعمتي الليل والنهار، وجعلهما متعاقبين، بغية تيسير أداء العبادات الدورية، كالصلوات الخمس، والأذكار، وغيرها من العبادات المتنوعة ذات الصلة بالليل والنهار^(٢).

❖ تأكيد الله تعالى على الأثر النافع لكل صاحب عقل متفكر بآلاء الله تعالى، وتمثل هذا الأثر بالإيمان بالله تعالى، وقد جاء هذا التوكيد من خلال مؤكدين، الأول: حرف التوكيد إن، الثاني: لام التوكيد في ﴿لَا يَنْتَبِ﴾. ❖ استخدام الفعل المضارع ﴿يَقُولُونَ﴾، ومعلوم أن الفعل المضارع يدل على التجدد، فيكون المعنى أنه كلما فكر العقلاء في آيات الله تعالى أكثر، ازدادت قناعاتهم بوجود الله تعالى ووحدانيته وقدرته أكثر.

٢. إظهار فضل الله تعالى على عباده.

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ﴿وَأَتَيْنَكُم مِّن كُلِّ مَآسَأٍ نَّشُوءَ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٣ - ٣٤].

يبين الله تعالى لعباده أنه أنعم عليهم بأن وفر لهم كافة مستلزماتهم، والتي منها الشمس والقمر، والليل والنهار، ثم أكد سبحانه أنه على الرغم من كل ما أنعم به على عباده إلا أنهم يقابلون هذه النعم بالجحود والنكران^(١).

٣. الحث على عمل الصالحات.

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢٢٨/٦.

(١) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري ٦٠-٥٨/٣.

النهار آية كونية

مما لا شك فيه أن الله تعالى عندما خلق هذا الكون الفسيح أودع فيه من الآيات والأسرار ما يبهّر العقول ويقودها إلى معرفة من أوجد تلك الآيات، وأودع تلك الأسرار، ومن هذه الآيات الكونية آية النهار التي قال الله تعالى في شأنها: ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوَّنَا آيَةَ أَلِيلٍ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّنِ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَتُهُ نَقِصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

والآية تدل على أن النهار من أعظم ما أنعم الله تعالى به على عباده، كما تدعو إلى التفكير في هذه النعمة العظيمة، وتفصيل ذلك كما سيتم ذكره في النقاط الآتية:

أولاً: النهار نعمة إلهية:

مما لا شك فيه أن الله تعالى قد أغدق على عباده بالنعم الظاهرة والباطنة.

قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

ومن المعلوم أن من بين هذه النعم نعمة النهار، وتتجلى هذه النعمة من خلال آثارها الجليلة، والتي منها ما يأتي:

١. أن النهار آية من آيات الله تعالى التي تهدي إلى الإيمان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢ ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِن دَائِبَةٍ لَّيْلَةٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ٣ ﴿وَاخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ؕ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجمانية: ٣ - ٥].

تشير هذه الآيات الكريمة إلى الدلالات الواضحة التي أودعها الله تعالى في هذا الكون الفسيح، والتي تقود أصحاب العقول النيرة إلى الإيمان بالله تعالى وحده^(١)، ومن ضمن الدلالات الكونية التي ذكرتها الآيات الكريمة آية النهار.

٢. أن النهار يشتمل على مواقيت للعبادة.

قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ أَلِيلٍ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بإقامة الصلوات ويخص بالذكر صلاة الفجر، ثم يعلل ذلك التخصيص بأن صلاة الفجر تشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار^(٢).

وقال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين في هذه الآية بالمحافظة على الصلوات عموماً، والصلوة الوسطى أي صلاة العصر

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٥٩/٢٢.

(٢) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي ٩٧/٧.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ۚ لِنَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانُهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

يبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أهمية الليل والنهار للاستدلال على وجود الله تعالى وعظمته^(٣)، وتحليل الآية الكريمة يظهر أن جملتي ﴿لِنَبْتَغُوا﴾، ﴿وَلِنَعْلَمُوا﴾ في محل نصب مفعول لأجله، فيكون المعنى: أن الله تعالى قد جعل النهار مضيئاً لسببين، الأول: حتى يتمكن الناس من طلب الأرزاق، الثاني: حتى يعلم الناس الأوقات^(٤).

ثانياً: التفكير في آية النهار:

حثَّ القرآن الكريم على إعمال العقول في كل أمر يحتاج إلى التفكير والتأمل والتدبر، وذلك يدل على أن القرآن الكريم يتفق مع العلم اتفاقاً كاملاً؛ وذلك لأن الذي نَزَّلَ القرآن والذي أودَعَ في الكون أسرار العلوم والمعارف هو الله تعالى، ولا يمكن أن تتعارض أمور مردها إلى الله تعالى. ومن الآيات التي دعا القرآن الكريم إلى تدبرها آيات النهار.

خصوصاً، وذلك لما لها من أهمية بالغة^(١)، وقد علل الحق جل وعلا تشديده على المحافظة على الصلاة بأنها ماحية للذنوب والخطايا.

قال تعالى: ﴿وَأَقِمْ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

٣. أن النهار هام للدعوة إلى الله تعالى.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ إِنَّكُمْ لَإِلَهُ عِندَ اللَّهِ بِآيَاتِكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧٢].

يمن الله تعالى على عباده بأنه لم يجعل النهار أبدياً دائماً، ولو كان ذلك لحدث اضطرابات واختلالات في النظام الذي اعتاده البشر، حيث إن النهار الذي ينفعهم للحصول على أرزاقهم لا بد وأن يعقبه ليل يسكنون فيه، ويستجمعون فيه طاقاتهم وقواهم^(٢)، ومما لاشك فيه أن هذه المنة الإلهية بالطريقة التي عرضها القرآن الكريم تشكل مادة دعوية تخدم الدعاة في دعوتهم إلى الله تعالى.

٤. أن النهار هام لقضيتي طلب الأرزاق، وحساب الأوقات.

(١) انظر: معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن الكريم، حسن الجمل ٢٢٤/٥.

(٢) انظر: العذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير ٣٨٢/٣.

(٣) انظر: التفسير الوجيز، الواحدي ص ٦٢٩.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤٤/١٥ - ٤٥.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس: ٦٧].

يبين الله تعالى لعباده أنه هو الذي جعل لهم الليل ليسكنوا فيه مما كانوا فيه في النهار من التعب والمشقة، وهو الذي جعل لهم النهار مبصرًا، ليسعوا إلى طلب أرزاقهم، ثم يدعوهم جل وعلا إلى التفكير في عظمة هاتين الآيتين العظيمتين لعلهم يهتدون إلى وجوب إفراده بكل صور العبادة^(١).

ويلاحظ من الآية السابقة أن التفكير في آتي الليل والنهار يقود أصحاب العقول السليمة إلى وجوب الاعتراف بوحداية الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣].

يبين الله تعالى لعباده أنه أكرمهم بأن جعل لهم الأرض منبسطة ليسيروا فيها، وجعل لهم فيها جبالًا وأنهارًا، كما جعل فيها أصنافًا متعددة من الثمرات الطيبة، وسخر الليل في عقب النهار فتكون الراحة بعد المشقة، ثم يؤكد الله تعالى على أن علة ذلك الإكرام هو حث أصحاب العقول على التفكير في صاحب الجود والكرم الذي

أكرمهم بكل ما يتنعمون به^(٢). ويتضح من الآية السابقة أن التفكير فيما أنعم به الله تعالى على عباده يقود الإنسان إلى معرفة الله تعالى حق المعرفة، وقد جاء عن أحد رعاة الإبل قوله: «البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، ألا تدل على العليم الخبير»^(٣).

ويستفاد من الآيتين السابقتين أنه ينبغي على الدعاة أن يوظفوا آيات الله تعالى الكونية في دعواتهم الناس إلى الهدى.

ثالثًا: علاقة النهار بالليل:

قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رُكُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

يبرهن الله تعالى من خلال هذه الآية الكريمة على أحقيته وحده دون سواه بالعبادة، وذلك من خلال عرضه جل وعلا للآيات الكونية الباهرة المتمثلة في إدخال أجزاء من الليل في أجزاء من النهار والعكس، والمتمثلة كذلك في تسخير الشمس والقمر اللذين يدوران في مدارين

(٢) انظر: لباب التأويل، الخازن ٣/ ٥.

(٣) العقيدة في الله، عمر الأشقر ص ٧٣.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٥/ ١٤٤.

محددین لهما (١).

ويتبين من الآية السابقة أن علاقة الليل بالنهار هي علاقة ولوج حيث تتداخل أجزاء من النهار في أجزاء من الليل فجراً، وتتداخل أجزاء من الليل في أجزاء من النهار عند أول الليل.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣].

يبرز الله تعالى لعباده في هذه الآية ما يدعوهم إلى التفكير والتدبر في عظيم الصنعة للاستدلال على عظم الصانع جل وعلا، فالله تعالى هو الذي بسط الأرض، وجعل فيها الجبال الرواسي، وأجرى فيها الأنهار الغنية بالخيريات النافعة للإنسان والحيوان، كما أنعم على عباده بالثمرات المغذية والمطيبة، كما ألبس الليل ضوء النهار، وألبس النهار ظلمة الليل (٢).

ويفهم من هذه الآية الكريمة أن علاقة الليل بالنهار هي علاقة استبدال، فضوء الشمس بالنهار يزيل ظلمة الليل، وعتمة

الليل تغطي ضوء النهار (٣).

وقال تعالى: ﴿وَأَيَّاءَ لَّيْلٍ سَلَخٍ مِنْهُ النَّهَارُ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧].

يبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن من العلامات الدالة على عظمته جل وعلا انسلاخ النهار من الليل حين يحل الظلام (٤).

ويظهر من هذه الآية الكريمة أن علاقة الليل بالنهار علاقة انفصال وانتزاع، حيث ينتزع النهار من الليل حين تشرق الشمس (٥).

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُوِّرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الزمر: ٥].

يذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه خلق السماوات والأرض، وأنه الذي يلف عتمة الليل بضوء النهار، ويلف ضياء النهار بعممة الليل، وأنه الذي سخر الشمس والقمر وجعلهما يدوران في مدارين خاصين بهما لا يزيغان عنه حتى يأذن الله تعالى، ثم يقرر سبحانه أنه العزيز القادر على كل شيء، وأنه الغفار الذي لم يعاجل العصاة من عباده بالعقوبة، ويانتزع ما في بديع صنعه من

(٣) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي ٣٠٦/٣.

(٤) انظر: تفسير السمرقندي ١٢٣/٣.

(٥) انظر: معجم وتفسير لغوي لألفاظ القرآن الكريم، حسن الجمل ٣٢٨/٢.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٣٤٧/١٩، كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، عبد الرحمن التميمي ص ٨٨.

(٢) انظر: لباب التأويل، الخازن ٥/٣.

الخيرات والرحمات^(١).

ويلاحظ من الآية السابقة أن علاقة الليل بالنهار هي علاقة لف وإخفاء، فالليل وإن طال مدته شتاءً أو قصرت صيفاً فلا يبدده إلا ضوء النهار، والنهار مهما طال صيفاً، أو قصر شتاءً فلا يغطيه إلا عتمة الليل^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوَّنَا آيَةَ أَلِيلٍ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

يبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه جعل الليل والنهار آيتين داليتين على عظمته وقدرته، ثم حدد الله تعالى أثر النهار على الليل حيث بين أن ضوء النهار يمحو ويبدد عتمة الليل، فيرى الناس دروبهم، ويطلبون أرزاقهم، ويضبطون أوقاتهم، ثم يبين الله تعالى أنه قد وضح للناس كل ما يحتاجون إلى توضيحه^(٣).

ويتضح من الآية السابقة أن علاقة الليل بالنهار هي علاقة محو، حيث يمحو ضوء النهار عتمة الليل فيبصر الناس ما حولهم من الأشياء^(٤).

(١) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي ٣٧/٥.

(٢) انظر: معجم وتفسير لغوي لألفاظ القرين الكريم، حسن الجمل ١٠٥/٤.

(٣) انظر: لباب التأويل، الخازن ١٢٤/٣.

(٤) انظر: النكت والعيون، الماوردي ٢٣٢/٣.

رابعاً: اختتام آيات النهار بصفات الله والدعوة للتفكير:

خلق الله تعالى الجن والإنس ليعبدوه.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولتحقيق هذه الغاية العظيمة، فقد أعان الله تعالى عباده على الوصول إليه بالمعرفة الحققة، وذلك من خلال آثاره التي تركها في كل ما يحيط بهم من الأشياء، ومن هذه الآثار خلق النهار الذي لا يغفل عن أهميته أحد من الخلق، ومع ذلك فإن القرآن الكريم لم يترك مقاماً ينبغي فيه التذكير بهذه النعمة العظيمة إلا ويذكر بها العباد ويرشدهم إلى ضرورة التفكير في هذه النعمة، وفي عظمة خالقها جل وعلا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَلِيلَ النَّهَارِ بِظُلُمِهِ خَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

يؤكد الله تعالى على ربوبيته، من خلال بيانه أنه الذي خلق السماوات والأرض، وأنه الذي جعل الليل والنهار، وأنه الذي سخر الشمس والقمر والنجوم بأمره جل وعلا، ثم ختم الله تعالى الآية ببيان أنه المتفرد بالخلق، وأنه صاحب الأمر النافذ في جميع

تعالى عباده إلى التفكير في ما أنعم به عليهم، إنما يأتي في سياق هداية الله تعالى عباده إلى طريق الحق والإيمان.

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِكُمُ اللَّهُ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١].

يبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه يدخل الليل في النهار حتى تقل فترة النهار شتاءً، ويدخل النهار في الليل حتى تقل فترة الليل صيفاً، ثم يختم سبحانه الآية ببيان أنه متصف بكمال السمع والبصر، وبالتالي فهو سميع لكل ما يصدر عن عباده، وبصير بكافة أحوالهم^(٣).

ويلاحظ أن الله تعالى قد ختم الآية السابقة بإثبات صفتي السمع والبصر لنفسه جل وعلا، ولعل المناسبة في ذلك أنه تعالى لما ذكر وبين في الآية ما يوجب الإيمان به وحده دون سواه، ناسب أن يختم الآية بالتنبيه على أنه جل وعلا بعد ذلك البيان سميع لما يصدر عن عباده من إيمان أو كفر، بصير بأحوال المؤمنين والمكذبين منهم، وفي ذلك بشرى لمن آمن، ووعد لمن كفر. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ

عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِاللَّيْلِ فَتَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧٢].

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ١٣٥.

خلقه، وأنه رب العالمين جميعاً^(١).

ويلاحظ من الآية السابقة أن الله تعالى قد ختم الآية السابقة بذكر صفة من صفاته، وهي صفة الربوبية؛ وذلك لتقرير أنه سبحانه المتفضل بخلق كل ما ذكر من النعم في هذه الآية الكريمة بواسطة أمره الذي هو جزء من كلامه جل وعلا، وهذا من شأنه أن يقود الناس إلى طريق الهدى والرشاد المتمثل في الإيمان بالله تعالى وحده.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣].

يبين الله تعالى في هذه الآية أنه الذي بسط الأرض طولاً وعرضاً، وجعل فيها الجبال الرواسي للأرض، والأنهار الجارية، وأنه الذي جعل في الأرض من جميع صنوف الثمار الطيبة، وجعل فيها الأزواج المختلفة من المخلوقات، وجعل فيها كذلك الليل والنهار، ثم ختم الله تعالى هذه الآية بالتأكيد على فاعلية تلك الآلاء عند أصحاب الفكر السليم في التعريف بخالقها جل وعلا^(٢).

ويلاحظ من الآية السابقة أن دعوة الله

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي ٦٤/٥ - ٦٨.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٦/ ٣٢٨ - ٣٣٠.

ينبه الله تعالى عباده في هذه الآية الكريمة إلى واحدة من أعظم نعمه وهي نعمة تعاقب الليل والنهار التي توفر للناس الراحة بعد التعب والمشقة، ويأتي التنبيه من خلال توجيه السؤال للعباد عن حالهم، فيما لو أن الله تعالى قد جعل النهار أبدياً لهم دون أن يكون هنالك ليل يسكنون فيه، فهل هنالك حينها من سيأتيهم بليل يرتاحون فيه سوى الله تعالى؟، ثم يختم الله تعالى الآية بالسؤال الإنكاري عن عدم إبطار الكافرين المنكرين لهذه الآية الكونية العظيمة التي جعلها الله تعالى هداية وإرشاداً لكل مبصر محقٍّ يوظف بصره لخدمة ذاته، وإرشاد نفسه إلى طريق الحق الذي لا مرية فيه^(١).

ويلاحظ أن الآية السابقة قد ختمت بالتنبيه على ضرورة توظيف العقل نعمة الإبصار للنظر الدقيق في عظيم صنع الله تعالى في الكون، وتكمن ضرورة ذلك التوظيف في أنه الطريق إلى الهدى والرشاد، وقد ذم الله تعالى أولئك الذين منحهم أعياناً، ومع ذلك لا يستخدمونها في النظر إلى ما في الكون الذي يعيشون فيه من بديع صنع الله تعالى؛ لاستدلال على وجود خالقهم وعظمته.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا

وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَفْئِدَةٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُونُ الَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الزمر: ٥].

يخبر الله تعالى عباده في هذه الآية أنه الذي أوجد السماوات والأرض، وجعل كلاً من الليل والنهار يلف الآخر، فالليل يلف النهار بعتمته، والنهار يلف الليل بضوئه، وأنه سبحانه الذي سخر الشمس والقمر، وجعل كل واحدٍ منهما يسير في مدارٍ خاصٍّ به بلا توقفٍ حتى يأذن جل وعلا، ثم يختم الآية ببيان أنه العزيز القادر على الانتقام ممن عاين تلك الآلاء فلم يؤمن بها، الغفار لمن نظر في بديع وعظمة صناعته فأمن بعد ضلال وتيه^(٢).

والملاحظ في هذا المطلب أن الله تعالى قد ختم آيات النهار تارة بالدعوة إلى التفكير؛ لإظهار حرص الخالق جل وعلا على هداية عباده من خلال العقل الذي منحهم إياه، وتارةً أخرى بذكر صفات الله تعالى؛ وذلك لتعريف العباد بخالقهم جل وعلا، وحثهم على الإيمان به، وتخويفهم من إنكاره.

(١) انظر: لباب التأويل، الخازن ٣/ ٣٧٠.

(٢) انظر: تفسير السمرقندي ٣/ ١٧٧.

القسم بالنهار

لم يدع القرآن الكريم أسلوباً من أساليب التوكيد إلا واستخدمها لإثبات الحقائق ودحض الأباطيل، ومن هذه الأساليب أسلوب القسم، والذي يعرف بأنه: الحلف، أو اليمين^(١).

وهو من أقوى أساليب توكيد الخبر، ويكون استخدامه في الحالات التي يكون المخاطب منكراً للخبر الذي أخبر به.

وجاء القسم في القرآن الكريم طمأنة لأصحاب الأنفس السوية، وإقناعاً لأصحاب النفوس التي شابتها شوائب الباطل بحقائق هذا الدين الحنيف، وقد جاء المقسم به في القرآن على ضربين، الأول: القسم بذات الله وبصفاته، الثاني: القسم بالمخلوقات، وقد جاء النوع الثاني في القرآن الكريم لأغراض منها:

١. إثباتاً لحقيقة وجود المقسم به، إذا كان مما ينكره بعض الناس، مثل القسم بالملائكة.

قال تعالى: ﴿وَاللَّزَّعَتِ غَرَقًا ۝١ وَالنَّشِطَتِ ۝٢ وَالسَّيْحَتِ ۝٣ سَبْعًا ۝٤ فَالسَّيْفَتِ ۝٥ سَبْعًا ۝٦ فَالْمُدْرَاتِ أَمْرًا ۝٧﴾ [النازعات: ١-٥].

وقد أقسم الله تعالى في هذه الآيات الكريكات بخمسة أصناف من الملائكة.

٢. بياناً لعظمة المقسم به.

وذلك كقوله تعالى: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [القيامة: ١].

٣. لفت الأنظار إلى الكون وما فيه من عجائب.

قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَفْشَى ۝١ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۝٣﴾ [الليل: ١-٣].

٤. تأكيد الخبر وتقريره.

قال تعالى: ﴿وَالضُّحَى ۝١ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى ۝٣﴾ [الضحى: ١-٣].

٥. إبراز المعقول في صورة المحسوس.

قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَسَ ۝١ وَالضُّحَى ۝٢ إِذَا نَفَسَ ۝٣﴾ [التكوير: ١٧-١٨].

فالقسم في هاتين الآيتين يعطي كلاً من الليل والنهار صفةً حسية، فأعطى الليل صفة العساسة والتي تعني الإقبال والإدبار^(٢)، وأعطى النهار صفة التنفس.

٦. الإشارة إلى أحداث تاريخية هامة.

قال تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين: ١-٣].

فالقسم بالتين والزيتون فيه إشارة إلى الحدث الهام الذي شهدته المنطقة المشهورة بزراعته وهو بعثة سيدنا عيسى عليه السلام في فلسطين، والقسم بطور سينين فيه إشارة إلى الحدث الهام الذي وقع على جبل الطور وهو بعثة سيدنا موسى عليه

(١) انظر: العين، الفراهيدي ٨٦/٥.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١٣٩/٦.

السلام، والقسم بالبلد الأمين مكة إشارة إلى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم^(١).

وقد جاء القسم بالنهار في القرآن الكريم على ضربين، هما:

❖ القسم بالنهار كله، وقد تكرر القسم به في القرآن الكريم مرتين؛ في قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّهَا﴾ [الشمس: ٣]. وقوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل: ٢].

❖ القسم بجزء من النهار، وقد تكرر القسم بجزء من النهار خمس مرات، في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرُ﴾ [الفجر: ١]. وفي قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحَ إِذَا أَشْفَرُ﴾ [المدثر: ٣٤]. وقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحَ إِذَا تَنَفَّسُ﴾ [التكوير: ١٨]. وقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى﴾ [الضحى: ١]. وقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ﴾ [العصر: ١].

مما سبق يمكن القول: إن القسم بالنهار كله أو جزء منه قد تكرر في القرآن الكريم سبع مرات، وهذا إن دل فإنما يدل على أهمية النهار عند الخالق والمخلوق، فهو من أعظم الموجودات عند الخلق؛ لدوره في هدايتهم المتمثلة في تمكينهم من إبصار ما حولهم من خلال ضوء النهار، وهو كذلك من أعظم المخلوقات عند الخالق جل وعلا؛ لدوره في هداية الخلق المتمثل

في إيصالهم إلى الحق من خلال تفكيرهم فيمن خلق النهار.

وقد جاء القسم بالنهار وأجزائه لعدة أغراض هي:

١. الحث على تزكية النفس، والتحذير من الفجور.

يتضح ذلك من خلال قسمه جل وعلا في سورة الشمس بعدة أمور من ضمنها النهار الواضح المضيء على ضرورة تعويد النفس على فعل الخيرات واجتناب المنكرات^(٢)، قال تعالى في بيان جواب القسم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ ① ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

٢. التأكيد على تباين أعمال العباد. يظهر ذلك من خلال قسمه جل وعلا في سورة الليل بعدة أمور منها النهار المضيء على اختلاف أعمال العباد، فمن أعمالهم ما هو صالح، ومنها ما هو طالح، قال تعالى في جملة جواب القسم: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل: ٤].

٣. وعد المؤمنين بالتمكين في الأرض، والغلبة على عدوهم الكافر.

يفهم ذلك من قسمه جل وعلا في سورة الفجر بالفجر الذي يرمز إلى زوال ظلمة البغي، وسطوع نور الحق، كما يجلي ضوء النهار ظلمة الليل، دل على ذلك

(١) انظر: لطائف الإشارات، الفشيري ٣/ ٧٤٥.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٧١١.

من عذاب الله تعالى.

٥. إثبات أن القرآن حق من عند الله تعالى.

ويتجلى ذلك من خلال قسمه جل وعلا في سورة التكوين بعدة أمور منها الصبح إذا أشرق على أن القرآن منزلٌ بواسطة الوحي جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٣﴾﴾ [التكوين: ١٩-٢١].

٦. التأكيد على عدم انقطاع الوحي عن

رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم. يظهر ذلك من خلال قسم الله تعالى في سورة الضحى بالضحى، وبالليل إذا سكن^(٤)، على أن الله تعالى لم يترك محمدًا صلى الله عليه وسلم، ولم يغيضه، ولم يقله من المهمة التي أسندها إليه، قال تعالى في ذكر جواب القسم: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿١﴾﴾ [الضحى: ٣].

٧. حث الناس على المسارعة إلى عمل

الصالحات.

يتضح ذلك من القسم بالعصر في سورة العصر على أن الإنسان لفي خسارة، باستثناء المؤمنين المداومين على عمل الصالحات، ومن الملاحظ أن السورة الكريمة قد

جواب القسم وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١﴾﴾ [الفجر: ١٤].

وإن قيل بأن جواب القسم مضمَر فتقديره: لينصرن الله المؤمنين، وليقهرن الكافرين، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿الَّتِي لَمْ يَخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْأَلْبَانِ ﴿٨﴾ وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الْفَصْحَرَ بِالْأَوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ [الفجر: ٨ - ١٣].

وقد نزلت سورة الفجر إبان احتدام المعركة بين الحق المتمثل في الإيمان، والباطل المتمثل بالكفر^(١).

٤. التخويف من عذاب الله تعالى.

يتضح ذلك من قسمه جل وعلا في سورة المدثر بعدة أمور من ضمنها الصبح إذا أضاء على أن سقر أي: جهنم، هي إحدى الكبر أي: الأمور العظيمة^(٢).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا لِإِنْعَادِ الْكَبْرِ ﴿١﴾ نَذِيرًا ﴿٢﴾﴾ [المدثر: ٣٥-٣٦].

وجاءت ﴿نَذِيرًا﴾ منصوبة على أنها حال متعلق بفاعل قم المضمَر في أول السورة^(٣) في قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا نَّذِيرًا ﴿١﴾﴾ [المدثر: ٢].

فيكون المعنى: قم يا محمد نذيرًا للناس

(١) انظر: لباب التأويل، الخازن ٤/ ٤٢٤.

(٢) انظر: تفسير السمرقندي ٣/ ٥١٨.

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب ٢/ ٧٧٤.

(٤) انظر: معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن الكريم، حسن الجمل ٢/ ٢٩١.

أجزاء النهار

اقتضت حكمة الله تعالى أن يقسم الليل والنهار إلى أجزاء؛ وذلك حتى يعين عباده على ذكره وحسن العبادة له، فمع كل جزء هنالك ذكر أو عبادة ينبغي على المؤمن ألا يفوتها حتى ينال أجرها من الله تعالى، وبما أن هذا البحث خاص بالنهار فسيكون الحديث عن أجزاء النهار فقط وهي كما يأتي:

أولاً: أول النهار:

١. الفلق وهو مبدأ ظهور النور صباحاً^(١). وهو مفرد جمعه أفلاق وفُلُقان^(٢)، وقد جاء ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١].
٢. الصبح وهو أول النهار^(٣). وصبح مفرد جمعها أصباح^(٤)، وقد جاء ذكره في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقوله تعالى: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾

[العاديات: ٣].

وظفت أساليب التوكيد الثلاثة القسم في ﴿وَالْعَصْرِ﴾، وحرف التوكيد إن في ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾، ولام التوكيد في ﴿لَنِي﴾ للتشديد على أهمية المسارعة إلى عمل الصالحات.

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَنَفٍ خُسْرٍ﴾ [العصر: ١ - ٢].

كما جاء القسم بالعصر للحث على المسارعة إلى فعل الخيرات، فلا تمتنع في الوقت أمام الإنسان؛ فالزمن في آخره، كما أن العصر في آخر النهار.

(١) انظر: التفسير القيم، ابن القيم ص ٦٢٥.

(٢) انظر: تاج العروس، الزبيدي ٣١١/٢٦.

(٣) انظر: التفسير القيم، ابن القيم ص ٦٢٥.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٥٠٢/٢.

وقد ورد ذكر هذا التوقيت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا اللَّيْلُ مَأْمُونًا أَذْكُرُوا﴾ **اللَّهُ ذَكَرًا كَثِيرًا** * وَسَيَحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿[الأحزاب: ٤١-٤٢].

٦. الضحى وهو «وقت ارتفاع النهار وامتداده، وهو قرب منتصف النهار»^(٩).

وهي جمع مفردا ضحوة^(١٠)، وقد ورد ذكر الضحى في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩]. وفي سورة الضحى.

قال تعالى: ﴿وَالضُّحَى﴾ [الضحى: ١].

٧. الشروق وهو طلوع الشمس، واسم الموضع منها مشرق، والجمع مشارق^(١١).

وقد جاء ذكر هذا التوقيت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَلِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨].

ثانياً: وسط النهار:

١. الظهيرة وهي حد انتصاف النهار، والظهر ساعة الزوال^(١٢).

وقد ورد ذكر هذا التوقيت في القرآن

٣. الفجر وهو ضياء الصباح^(١).

وهو وقت انكشاف ضياء الصباح قبيل الشروق^(٢)، والفجر فجران، الأول: المستطيل ويطلق عليه ذنب السرحان، والثاني: المستطير وهو الذي ينشر ضياؤه في الأفق^(٣)، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

٤. الغدوة وهي الفترة المحصورة ما بين أول النهار إلى الزوال.

أو ما بين أول النهار إلى طلوع الشمس^(٤)، وهي مفرد جمعها غدوات^(٥)، وقد جاء ذكر الغدوة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْقُدُوءِ وَالْأَصَالِ﴾ [النور: ٣٦].

٥. البكرة وهي بمعنى الغدوة^(٦).

وقيل: هي بمعنى التقدم في أي وقت^(٧)، وهي مفرد جمعها البكر^(٨)،

(١) انظر: العين، الفراهيدي ١١١/٦.

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر ١٦٧٤/٣.

(٣) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ٣٩٤/٧.

(٤) انظر: مشارق الأنوار، القاضي عياض ١٢٩/٢.

(٥) انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى ٢٢٨/١٤.

(٦) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ١٧/٧.

(٧) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٧٧/٤.

(٨) انظر: العين، الفراهيدي ٣٦٥/٥.

(٩) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر ١٣٥٠/٢.

(١٠) انظر: مختار الصحاح، الرازي ص ١٨٣.

(١١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ١٦٢/٦.

(١٢) انظر: العين، الفراهيدي ٣٧/٤.

الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٨].

يقول الخازن في تفسير قوله تعالى: ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: «أي: تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر»^(١).

٢. القيلولة وهي النوم في منتصف النهار^(٢).

وهو التوقيت الذي يرتاح فيه الناس خلال فترة النهار، وقد ورد ذكر هذا التوقيت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَأَ بَيْتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤].

توجه هذه الآية الكريمة التهديد للكفار المجرمين، وذلك من خلال إخبارها بأن عذاب الله تعالى قد حل بأقوام خلال استمتاعهم بأوقات الراحة حيث كانوا يشعرون بالسكون والراحة والأمن^(٣).

ثالثاً: آخر النهار:

١. الرواح وهو الوقت الممتد من الزوال إلى الليل^(٤).

وقد ورد في السنة المطهرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لغدوة في سبيل

- (١) لباب التأويل، الخازن ٦/ ١٩٢.
- (٢) انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى ٩/ ٢٣٢.
- (٣) انظر: لباب التأويل، الخازن ٢/ ١٨١.
- (٤) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتح الأزدي ص ٥٥١.

الله أو روحه، خير من الدنيا وما فيها)^(٥).
٢. العصر وهو وقت آخر النهار ينتهي قبيل الغروب^(٦).

وقد ورد ذكر هذا التوقيت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ﴾ [العصر: ١].

وقد أقسم الله تعالى بالعصر في هذه السورة؛ لأنه يشمل آخر النهار وأول الليل^(٧).

٣. الأصيل وهو الوقت المحصور بين ما بعد العصر إلى الليل^(٨).

وأصيل مفرد جمعها آصال^(٩)، وقد ورد ذكر هذا التوقيت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

يوجه الله تعالى عباده في هذه الآية الكريمة إلى ضرورة المداومة على ذكره

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله، وقاب قوس أحدكم من الجنة، ١٦/٤، رقم ٢٧٩٢.

(٦) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر ٢/ ١٥٠٧.

(٧) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي ١٠/ ٦١١.

(٨) انظر: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان الأندلسي ص ٤٧.

(٩) انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى ١٢/ ١٦٩.

النهار والعبادة

ما خلق الله تعالى الجن والإنس إلا ليعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وليمكن العباد من تحقيق هذه الغاية، والمداومة على أدائها، فقد جعل الله تعالى الليل والنهار، فيكون في النهار السعي والجد في الطاعة والعبادة، وفي الليل تكون الراحة والسكينة والتزود بالطاقة للعودة للطاعة في اليوم التالي من جديد، وبهذا تستمر عبادة العبد بلا انقطاع حتى يلقي ربه جل وعلا، وهو راضٍ عنه، والنظر في كتاب الله تعالى يجد العديد من الآيات التي دعت إلى استثمار أوقات النهار في الطاعة والعبادة.

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ آيَاتِ إِنْ أَحْسَنْتَ يُدْهَبَنَّ السَّيِّئَاتُ ذَلِكَ ذِكْرُ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

يحث الله تعالى عباده المؤمنين في هذه الآية الكريمة على إقام الصلوات المكتوبة النهارية منها والليلية؛ فإن أجور الطاعات عموماً، والصلوات خصوصاً، يذهب بأوزار السيئات، ثم يبين الله تعالى في ختام الآية أن ذلك الحث منه جل وعلا، إنما يأتي في إطار

طمعاً في رحمته، وخوفاً من عقابه^(١)، كما أثنى الله تعالى على أصحاب الهمم العالية من الذين يداومون على ذكره وشكره في المساجد في أوقات الغدو والأصال.

قال تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ﴿يَجَالُ لَا تُلْهِيمُ فَحْدَهُ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَأَقَامِ الصَّلَاةَ وَآتِ الزَّكَاةَ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦].

- [٣٧].

٤. العشي وهو آخر النهار، وعشية مفرد، جمعها عشايا وعشيات^(٢).

وقد ورد ذكر هذا التوقيت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُؤْتَنَاهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة وقتي العشية والضحي؛ لبيان أن الفاجر عندما يبعث يوم القيامة لن يشعر أنه قضى في الدنيا والقبر إلا فترة قصيرة من الزمن كفترة العشي أو الضحي^(٣).

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٣١٤.

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد عمر ومعه فريق عمل ٢/ ١٥٠٤.

(٣) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي ٥/ ٢٨٥.

الوعظ للعباد^(١).

[طه: ١٣٠].

يرشد الله تعالى عبده ونبه محمد صلى الله عليه وسلم إلى ضرورة لزوم الصبر على أذى المشركين، والمداومة على الطاعة والعبادة^(٣).

ويلاحظ في الآية السابقة أن الله تعالى قد قرن بين عبادتي الصبر والشكر معاً، ثم وعد بإرضاء الصابرين الشاكرين بالأجر والثواب العظيمين، كما يلاحظ حث الآية الكريمة على استثمار أوقات الليل والنهار في الذكر والتسبيح، وخصوصاً أوقات اليقظة.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي لِمَوْلَى إِلِيلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

يبين الله تعالى لعباده أنه جعل تعاقب الليل والنهار حتى يتمكنوا من مواصلة الذكر والشكر له سبحانه على الوجه الذي يلقيق بجلال وجهه وعظيم سلطانه^(٤).

وتظهر الآية السابقة مدى رحمة الله تعالى بعباده، فقد جعل الليل ليعوض العبد ما فاته في النهار، وجعل النهار ليعوض ما فاته في الليل من العبادة والطاعة.

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ [غافر: ٥٥].

ويلاحظ من الآية السابقة أن الله تعالى أشد حرصاً على العباد من أنفسهم، فقد أمر الله تعالى عباده بأعظم العبادات أجراً ضمناً لمحو جميع أو أغلب الأوزار التي تسببت بها الذنوب، يفهم ذلك من ورود الجملة التعليلية ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسَنَاتِ﴾، عقب الأمر بإقام الصلاة.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

يحث الله تعالى عباده المؤمنين على الإنفاق على ذوي الحاجات، في كل الأوقات وجميع الحالات^(٢).

ويلاحظ من الآية السابقة أن الله تعالى وعد المتصدقين بالأجر والمثوبة؛ وذلك لأنهم يسارعون في الخيرات، فهم لا يتقيدون بوقت محدد، ولا يشترطون حالة بعينها كي يقدموا الصدقة لمستحقيها، وإنما يبادرون إلى تقديم العون للمحتاجين متى عاينوا حاجتهم.

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ بَيْنَ الْإِيلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَكَ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ

(١) انظر: الباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٥٩٢-٥٩٥.

(٢) انظر: تفسير السمرقندي ١/ ١٨٢.

(٣) انظر: معالم التنزيل، البغوي ٣٠٢/٥.

(٤) انظر: لباب التأويل، الخازن ٣/ ٣١٨.

يمرون على العديد من الآيات الكونية التي تستدعي منهم الذكر والتسبيح.

وقال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

يأمر الله تعالى عباده في هذه الآية الكريمة بالمحافظة على الصلوات المفروضة عمومًا، وصلاة الفجر خصوصًا، وذلك لأن لصلاة الفجر ميزة خاصة؛ فإن ملائكة الليل والنهار يشهدون تلك الصلاة (٣).

ويلاحظ في الآية السابقة التركيز في الأمر بالمحافظة على الصلوات وعلى صلاة الفجر التي تكون في أول النهار، يظهر هذا التركيز من خلال تخصيص صلاة الفجر بالذكر فقال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾، ومن خلال إعادة ذكر هذه الصلاة في الجملة التعليلية في فاصلة الآية الكريمة، وفي ذلك دلالة على أهمية وقت الفجر وعظم ثواب العمل الصالح فيه.

وقال تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

يأمر الله تعالى عباده في هذه الآية الكريمة بالمحافظة على جميع الصلوات

يأمر الله تعالى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة بالصبر على أذى المشركين واستهزائهم؛ فإن الوعد بالتمكين للمؤمنين، ونصرهم على عدوهم حق لا مرية فيه ولا ريب، ثم يعقب الله تعالى بعد هذه البشيرة بتوجيه الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بلزوم الاستغفار والتسبيح، وخصوصًا في آخر النهار وأوله (١).

ويلاحظ من الآية السابقة أن الله تعالى قد خص وقتي أول النهار وآخره بالذكر خلال حثه عباده على الذكر، وفي ذلك بيان لأهمية النهار بالنسبة للذاكرين.

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْكَ فِي نَفْسِكَ نَضْرَعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

يحث الله تعالى عباده المؤمنين في هذه الآية الكريمة على الذكر والخشوع، ويحذّرهم من الغفلة عن الذكر والطاعة (٢).

ومن الملاحظ في الآية السابقة تخصيص أجزاء من النهار بالذكر، وتتمثل هذه الأجزاء ببداية النهار ونهايته، ولعل ذلك راجع إلى إبراز النهار لآيات الله تعالى الباهرة في هذا الكون، فإثناء سعي العباد في الأرض نهارًا

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ٧١٧.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٣/ ٣٥٣.

(٣) انظر: مدارك التنزيل، النسفي ٢/ ٢٧٢.

يبیح الله تعالى لعباده في هذه الآية الكريمة أن يأكلوا ويشربوا خلال فترة الليل في شهر الصيام، ثم يأمرهم بصيام نهار رمضان كاملاً بدءاً من أذان الفجر وحتى أذان المغرب^(٥).

وتشريع عبادة الصيام التي تنقي العباد من ذنوبهم، وتزيل خطاياهم في فترة النهار دليل على مدى قدسية هذه الفترة عند الله تبارك وتعالى، وعلى أهميتها البالغة في تعويد الناس على مكارم الأخلاق.

المفروضة خصوصاً صلاة العصر^(١). وقد خص الله تعالى في الآية السابقة صلاة العصر بالذكر؛ لمزيد فضلها وفضل الوقت الذي تؤدي فيه هذه الصلاة، يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ أي: طائعين^(٢).

وقال تعالى: ﴿فَالْمَغِيرَتِ صُبْحًا ۖ فَأَنْزَلَ بِهِ نَفْعًا ۖ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [العاديات: ٥-٣].

أقسم الله تعالى بخيل المجاهدين في سبيله التي تغير على أعداء الإسلام، فيثرون الغبار الكثيف أثناء العدو، ثم يتوسطن جمع الفجرة حين يكون الالتحام^(٣).

وقد خصَّ الله تعالى وقت الصبح بالذكر لما في هذا الوقت من البركة والخير، يؤيد ذلك ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (اللهم بارك لأمتي في بكورها)، وكان إذا بعث سرية، أو جيشاً بعثهم من أول النهار^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَا إِلَى الْآيِلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢٣٥/١.

(٢) انظر: النكت والعيون، الماوردي ٣١٠/١.

(٣) انظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني ٤٥١/٣.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الابتكار في السفر، ٤/٢٤٧، رقم ٢٦٠٦. وصححه الألباني.

(٥) انظر: تفسير السمرقندي ١/١٢٥.

يَنْفَعُكُمْ **﴿** [يونس: ٢٤].

يضرب الله تعالى في هذه الآية الكريمة مثلاً للحياة الدنيا من خلال تشبيهها بالماء النازل من السماء على الأرض، فيختلط ببذور الأرض، فينبت النبات، فتتزين الأرض وتتجمل بصنوف النباتات والزرع، حتى يظنَّ الناس بأنهم قادرون على قطف ثمارها، فيأتيها أمر الله تعالى بالتدمير والقطع، فتصبح وقد تغير شكلها، واختلف حالها، وخاب ظنُّ الناس فيها ^(١).

ويلاحظ في الآية السابقة أن الله تعالى عندما تحدث عن العذاب لم يحدد في أي وقت بالضبط سيكون أفي الليل أم في النهار، وفي ذلك إشعار بانعدام الأمن في أي وقت من الأوقات، وبالتالي فإنه من الواجب على العباد كافة أن يبادروا إلى التوبة والرجوع إلى الله تعالى، وأن يحسنوا الإعداد ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وألا يغتروا بما في هذه الحياة الدنيا من الملذات والمتع.

وقال تعالى: **﴿** قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يُأْتِيكُمْ بِلَيَالٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ **﴿** [القصص: ٧٢].

يؤمنُ الله تعالى على عباده بأحد أعظم نعمه التي أكرمهم بها، ألا وهي نعمة ليل

النهار والعذاب

اقتضت سنة الله تعالى ألا يعذب أحدًا بذنوبه حتى يعرفه بسوء عاقبة الذنوب التي يرتكبها؛ لذلك أرسل الله تعالى الرسل مبشرين ومنذرين.

قال تعالى: **﴿** وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى يَبْعَثَ رَسُولًا **﴿** [الإسراء: ١٥].

فإن بقي مُصِرًّا على التماذي في الظلم والطغيان، فسيأخذه الله تعالى حينها أخذ عزيز مقتدر.

وقال تعالى: **﴿** وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا **﴿** [الإسراء: ١٦].

ومع أن الله تعالى قد بين لعباده هذه السنة إلا أن من الناس من لا ينتفع بالمواعظ والهدى؛ فما كان من الله تعالى إلا أن عذبهم بذنوبهم وفسادهم، وقد حدثنا الله تعالى في القرآن الكريم في غير موضع عن هذه الشريحة المعاندة، وعن المواعظ التي وجهت لهم قبل نزول العذاب بهم.

قال تعالى: **﴿** إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاتَّخِطَّ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَهَّتْ وَطَرَبَتْ أَهْلَهَا أَنْتُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَنْهَأُ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

(١) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي ٥٤٣/٢.

السكون بعد نهار السعي، ويأتي هذا المنُّ الإلهيُّ من خلال تحريك العقول وتنشيطها بالتفكير في الحال التي سيكون عليها الناس، لو أن الله تعالى قد جعل النهار طالعاً عليهم بشكل مستمر دون أن يعقبه ليل يستريحون فيه يا ترى كيف سيكون حالهم، وبعد توجيه هذا السؤال للناس يُعَقَّبُ الله تعالى بقوله ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: أفلا ترون كم أن الله تعالى رحيم بكم؟! (١).

ويلاحظ من الآية السابقة أن الله تعالى ينبه عباده إلى قدرته على أن يحوِّل النعمة إلى نقمة، فمن الحق أن النهار نعمة، ولكن بقاء النهار طالعاً دون أن يعقبه ليل يخلد فيه الناس إلى النوم والراحة بعد المشقة والتعب أثناء النهار أمرٌ يحوِّل النعمة إلى نقمة، ويمثل هذا التنبيه الإلهي دعوة للناس إلى الهدى والرشاد من خلال التفكير في نعمة تعاقب الليل والنهار.

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءََهَا بِأَسْنَانَيْتَا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤].

يبين الله تعالى لعباده في هذه الآية الكريمة كثرة من أهلك من القرى الظالمة، حيث أتاها العذاب في أوقات الراحة والسكون من ليل أو نهار (٢).

ويلاحظ من الآية السابقة أن الله تبارك وتعالى يحذر الناس من سخطه وانتقامه، فإنهم إن عتو عن أمر ربهم فسيأتيهم العذاب من حيث لا يحتسبون، وفي الوقت الذي لا يتوقعون، فربما يأتيهم العذاب في وقت نومهم وراحتهم أثناء فترة الليل حيث ينام الناس، أو في فترة القيلولة التي تعد من أهم أوقات الراحة والاسترخاء أثناء النهار.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيْنَنَا أَوْ نَهَارًا مَادَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٥٠].

يظهر الله تعالى في هذه الآية الكريمة مدى سفاهة وجهالة المجرمين الذين يستعجلون عذاب الله تعالى أملاً منهم في إمكانية وجود فرصة للإيمان والتوبة حين تحل بهم العقوبة الربانية، وظناً منهم ببساطة تلك العقوبة، وقدرتهم على تحملها (٣).

ويلاحظ أن في الآية السابقة تحذيراً وتخويفاً من عذاب الله تعالى، الذي من الممكن أن يأتي في أي وقتٍ وحين، ليلاً أو نهاراً، وعلى نحوٍ لا يملك أحدٌ من الخلق تحمله من شدة هوله، ولا يكون حين نزوله أيُّ مجال للتوبة والندم.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: ٣٨].

تحدث هذه الآية الكريمة عن العقاب

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٣١٦/١٩.

(٢) انظر: لباب التأويل، الخازن ١٨١/٢.

(٣) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي ١١٥/٣.

لَهُمُ الْعَذَابُ (١٧٣) فَنَزَلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حَبْنِ (١٧٤) وَأَبْصَرْتُمْ
فَسَوْفَ يَصِيرُونَ (١٧٥) أَفَعَدَّيْنَا لِلْمَصْرِفِينَ (١٧٦) فَإِذَا
نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿[الصفات]:
[١٧١ - ١٧٧].

الإلهي النازل في قوم لوط عليه السلام الذين
أفسدوا في الأرض فسادًا عظيمًا، فأنزل الله
تعالى عليهم العذاب فأهلكهم (١).

ويلاحظ في الآية السابقة أن الله تعالى
قد أنزل العذاب بقوم لوط في الصباح
الباكر، وهذا مما يزيد العذاب قسوة
وضراوة، فالصباح هو الوقت الذي يبث
في نفوس الناس التفاؤل، ويرفع معنوياتهم،
ويحفز طاقاتهم للعمل والجد والاجتهاد،
ونزول العذاب في هذا الوقت يشكل صدمة
كبيرة في النفوس، وبالتالي فإن ما حدث مع
قوم لوط عليه السلام يعد من أهم الدوافع
التي تدفع العبد إلى ضرورة المصالحة مع
الله تعالى قبل الخلود إلى النوم، ومن أهم
الدوافع أيضًا إلى ضرورة أن يبدأ المؤمن
يومه بما يرضي الله تبارك وتعالى.

وقد كان رسول الله محمد صلى الله عليه
وسلم إذا أتى قومًا بليل لم يغر عليهم حتى
يطلع الصباح (٢)، وذلك لما في الصباح من
البركة التي لا يجنيها إلا المؤمن الصادق،
وأما الكافر الفاجر فالصباح عليه وبأل وغم،
خاصة إذا بلغ المبلغ الذي يستحق معه
العقوبة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِإِِبَادِنَا
الْمُرْسَلِينَ (٣١) إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٣٢) وَلَئِن جُنَدْنَا

(١) انظر: لباب التأويل، الخازن ٤/ ٢٢١.

(٢) انظر: دلائل النبوة، البيهقي ٤/ ٢٠٣.

النهار والسعي للمعاش

أنعم الله تعالى عباده بنعم لا تعد ولا تحصى.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

والذي يتأمل فاصلة هذه الآية يستشعر مدى عظمة المنعم جل وعلا، فهو مع كل ما يقدمه لعباده من النعم يتبع ذلك بالمغفرة والرحمة، على الرغم من تنكر كثير من العباد لما أنعم به الله تعالى عليهم.

قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفَطْلُونٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وظلم الإنسان وكفره لا ينبعان من مجرد إعراضه عن شكر النعمة التي يدرك عظمتها فحسب، بل ينبع أيضًا من كونه يعلم علمًا يقينًا أنه لو فقد إحدى هذه النعم فلن يستطيع إيجاد بديل مكافئ عنها، ولو حك بيافوخه السماء ومع ذلك يبقى مصرًا على جحوده ونكرانه، ومن بين هذه النعم الجليلة نعمة النهار.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا: ١١].

يبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة بأنه

قد جعل النهار؛ لينطلق الناس إلى شؤون معيشتهم، كالسعي على الأرزاق، وطلب العلم النافع، وصلة الأرحام، وغير ذلك من الشؤون المعيشية المختلفة، وهذا من عظيم ما أكرم الله تعالى به عباده (١).

والتأمل في نعمة النهار يجد أن منافعه المعيشية كثيرة وجليلة، وهي تتجاوز مجرد الإنارة للخلق ليبصروا طرقهم، وينطلقوا إلى شؤونهم، فنعمة النهار سبب في توافر الأكسجين في الهواء من خلال عملية البناء الضوئي التي تحدثها أوراق النباتات الخضراء نهارًا، كما أنها سبب في توفير الدفء والطاقة للأرض، كما أنها سبب في نعم أخرى كثيرة جدًا.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثُهَا وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ نُحْصِيَوهُ فَنَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ مَا يَنْسَرُ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين في هذه الآية الكريمة بالقيام بعبادة قيام الليل العظيمة في أجرها وأثرها، كما يدعوهم إلى قراءة ما تيسر لهم من القرآن العظيم، وقد راعى ربنا جل وعلا في هذه الآية الكريمة

(١) انظر: لباب التأويل، المخازن ٤/ ٣٨٧.

تعالى جعل الشمس التي تشرق في النهار، والقمر الذي يطلع في الليل لخدمة العباد، وقضاء مصالحهم، ولا يخفى على أحد دور الشمس التي تزود الأرض بأشعتها المضئية في خدمة البشرية في كافة المجالات الصحية، والاجتماعية، والاقتصادية، وغير ذلك من المجالات، كما لا يخفى على أحد أيضًا أهمية القمر، فهو يؤمن للناس العديد من لوازمهم في المجالات المختلفة.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧].

يُمَنُّ الله تعالى في هذه الآية الكريمة بأن جعل لعباده نعمتي الليل والنهار، فجعل الأولى للراحة والنوم، وجعل الثانية للانتشار في الأرض طلبًا للأرزاق وقضاء للمصالح المختلفة^(٣).

ويلاحظ من الآية السابقة أن الله تعالى قد ذكر نعمتين، وذكر مع كل نعمة من نعمتين نعمة مصاحبة لها، فذكر نعمة السبات مع نعمة الليل، وذكر نعمة النشور مع نعمة النهار، وفي ذلك إظهار لفضل الله تعالى على العباد، ولإرادته الخير لهم، ويتأمل نعمة السبات يمكن القول بأن الله تعالى كان قادرًا على أن يدب النشاط في أجساد العباد ليلاً، ويجعل عندهم الدافعية

ظروف المرضى، والمسافرين للتجارة، والمجاهدين في سبيل الله تعالى، فرخص الله تعالى لهؤلاء الأصناف ترك صلاة القيام لما تسببه لهم من مزيد المشقة والإرهاق^(١). ومن الملاحظ أن هذه الآية الكريمة راعت أصنافًا من الذين يكدون ويتعبون، والذين من ضمنهم الذين يضربون في الأرض من وجوب قيام الليل، وذلك قبل أن ينسخ هذا الحكم بتشريع الصلوات المفروضة، وبما أن السعي على الرزق بالضرب في الأرض يكون في النهار، فهذا يعني أن العاملين نهارًا بكدٍّ ومشقة طلبًا للرزق الحلال الطيب قد حازوا من الله تعالى على شرفٍ عظيم يكافئ الشرف الذي حازه قائمو الليل.

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

يسوق الله تعالى في هذه الآية الكريمة لعباده جملة من العلامات الدالة على ربوبيته سبحانه، فذكر الشمس والقمر المستمرين في الحركة والظهور، ثم ذكر الليل والنهار المتعاقبين^(٢).

ويلاحظ في الآية الكريمة وجود كلمة سخر التي تدل على التذليل، وكأن الله

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٦٩٩/٢٣.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٤٠٧/٢.

(٣) انظر: لباب التأويل، الخازن ٣/٣١٥.

للعمل والكسب في ذلك التوقيت الذي تتضاءل فيه القدرة على الرؤية عند الناس، ولكن الله تعالى بفضله قَلَّصَ دافعية الناس للعمل في الليل، وعزز رغبتهم في الراحة والسكون، وهذا ما ينسجم مع الليل المعتم، ويتأمل نعمة النشور يمكن القول بأن الله تعالى كان قادرًا على أن يجعل رغبة الناس في السكون والنوم نهارًا حيث تكون الرؤية واضحة، ولكن الله تعالى جعل الرغبة في الجِدِّ والاجتهاد والعمل في هذا التوقيت الذي ينسجم معه السعي والنشاط.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾

[المزمل: ٧].

يؤكد الله تعالى في هذه الآية أن النهار للسعي والجد والاجتهاد في طلب الأرزاق الطبية، والعلوم النافعة، والعلاقات الجيدة وغير ذلك من المنافع المتعددة^(١).

ويلاحظ من الآية السابقة أن الله تعالى يحث عباده على العمل بجد وإتقان، يفهم ذلك من لفظة ﴿سَبْحًا﴾، فكما أن جسد السابح ينغمر في الماء أثناء السباحة، فلا بد للعامل أن ينغمس في العمل نهارًا، يؤيد ذلك وجود قراءة تفسيرية جاءت فيها لفظة ﴿سَبْحًا﴾ بالخاء بدلًا عن الحاء أي: «سَبْحًا» والتسيخ هو النفس والتوسيع^(٢)، ومن

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٥١/٩.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٦٨٧/٢٣.

قال بأن التسيخ هو التخفيف، وإنما قصد بذلك التخفيف في التكليف^(٣)؛ وذلك لإتاحة الفرصة أمام الناس للعمل والكسب، ولكن ذلك لا يعني بحال من الأحوال ترك العبادات للانشغال بالأعمال، فهذا أمر مذموم كما هو معلوم، وإنما المقصود هو التركيز على الأعمال مع مراعاة العبادات.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ نَفْسًا مِمَّا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

[الجمعة: ١٠-١١].

فهاتان الآيتان تتحدثان عن صلاة الجمعة التي ربما يشغل عن أدائها البعض بحجة الانشغال بالعمل، وهذا ليس بالأمر المحمود؛ فكما هو معلوم أن ترك الصلاة لغير ضرورة شرعية أمر مرفوض.

(٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي ٣٨٨/٥.

بتبليغه للناس ليلاً أو نهاراً، سرّاً أو علانيةً، متبعاً بذلك هدي من سبقه من الأنبياء عليهم وعليه أفضل الصلاة والتسليم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُغَوِّمُ لِي بَرِيءٌ مِمَّا فُشِرْكَونَ﴾ [الأنعام: ٧٨].

وقد ذكر القرآن الكريم ذلك الكلام حكاية عن نبيّ الله تعالى إبراهيم عليه السلام الذي سلك مع قومه مسلك التدرج في الدعوة إلى الله تعالى، فبدأ حديثه عن الكوكب الذي رآه ليلاً، فلما غاب عن الأنظار لجأ للحديث عن القمر المنير ليلاً، فلما غاب لجأ للحديث عما هو أكبر وأعظم منهما، وهو الشمس التي تبرز نهاراً، فلما غابت لم يبق أمامه سوى إعلان براءته من كل سوى الله جل وعلا^(٣).

ويلاحظ من الآية السابقة أن إبراهيم عليه السلام قد استثمر جميع الأوقات الليلية والنهارية لدعوة قومه إلى الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥].

وقد ذكر القرآن الكريم ذلك الكلام في مقام الحديث عن دعوة سيدنا نوح عليه السلام على قومه؛ لأنهم لم يستجيبوا لدعوته على الرغم من استخدامه معهم كافة وسائل الدعوة التي من شأنها أن تقنع كل

(٣) انظر: تفسير السمرقندي ١/ ٤٦٢.

النهار والدعوة إلى الله تعالى

الدعوة إلى الله تعالى هي أهم وأحب الأعمال إلى الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ رضي الله عنه يوم خيبر: (فوالله لأن يهدي بك رجلٌ واحدٌ خيرٌ لك من حمر النعم)^(١).

وقد بعث الله تعالى رسله لدعوة الناس إلى دين الله تعالى، فقاموا بدورهم في الدعوة إلى الحق المبين، وبذلوا في سبيل ذلك الغالي والنفيس، فهذا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم يقول: (لقد أخفت في الله وما يخاف أحدٌ، ولقد أوديت في الله وما يؤذى أحدٌ، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلالٍ طعامٌ يأكله ذو كبد إلا شيءٌ يُواريه يبط بلالٍ)^(٢).

ومع ذلك لم يتقاعس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تبليغ ما أمره الله تعالى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والتبوة، وألا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، ٤/ ٤٧، رقم ٢٩٤٢.

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرفائق والورع، ٤/ ٢٢٦، رقم ٢٤٧٢. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ذي لبّ بالحقّ الذي يدعو إليه، فقال: يا ربّ
إني لم أترك أيّ وقت إلا ودعوت قومي فيه
إلى الحقّ، ومع ذلك لم يؤمنوا^(١).

ويلاحظ من دعوة نوح عليه السلام
أنه أقام الحجة على قومه بأنه دعاهم إلى
الهدى ليلاً ونهاراً فلم يهتدوا، ومن المعلوم
أنّ الدعوة النهارية هي أهمّ الدعوات، ففي
النهار يتجمع الناس، وتتناقل الأخبار،
وتناقش القضايا المختلفة، وبالتالي فإنّ
نطاق انتشار الدعوة النهارية أوسع من نطاق
انتشار الدعوة الليلية، مع عدم إغفال الدور
الهامّ للدعوة الليلية، والذي يمثل أساساً
ومطلقاً للدعوة النهارية، أما السبب الذي
من أجله قدمت الدعوة الليلية على النهارية
في الآية الكريمة، فهو أنه لنجاح الدعوة إلى
الله تعالى لا بدّ من البدء سرّاً، ثم تتدرج
حتى تصبح جهرية، يؤيد ذلك ما جاء في
سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث
بدأ دعوته سرّاً، ثم انتقل للدعوة الجهرية
عندما أصبحت الظروف ملائمة لذلك^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ
يَسْعَى قَالَ يَنْفَوْرُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ
اتَّبِعُوا مِنْ لَا تَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ يَهْتَدُونَ
وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِيدِ الْرَّحْمَنُ

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي
طالب ١٢/ ٧٧٣١.
(٢) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري ص ٣٣.

يُضْطَرُّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا
يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنْ أَرَادْنِيَ ضَلَالًا مَبِينًا ﴿٢٤﴾ إِنْ
أَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ [يس: ٢٠ - ٢٥].

تحدث الآيات الكريمات عن رجل
مؤمن كان معتزلاً للكفر والفجور، ولما
سمع بخبر الرسل جاء إلى قومه مسرعاً،
وأعلن إيمانه، ودعا قومه إلى اتباع هؤلاء
الرسل والإيمان بهم^(٣).

ويلاحظ من الآيات السابقات أن الرجل
المؤمن قد جاء يدعو قومه نهاراً، ومما يؤيد
ذلك أمران هما:

الأول: أنه جاء من أقصى المدينة يسعى،
والسعي هو الجري من غير شدة^(٤)، وهذا
يحتاج كما هو معلوم إلى رؤية واضحة،
والرؤية الواضحة لا تكون إلا في النهار.

الثاني: أنه لما أعلن إيمانه قال: إني آمنت
بربكم فاسمعون، وبما أن الإعلانات لا
تكون في الليل عادة، حيث يخلد الناس إلى
النوم، وكما هو معلوم فإنّ النائم لا يخاطب،
كما أن سمعه يهدأ كثيراً، فيكون الحق
والعلم عند الله تعالى أن الرجل المؤمن
اختار لدعوته وقت النهار.

وقال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾
[الشعراء: ٢١٤].

يأمر الله تعالى عبده ونبيه محمداً صلى

(٣) انظر: لباب التأويل، الخازن ٤/ ٦.
(٤) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده
٢/ ٢٢١.

لهب لما شتم النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «تبا لك سائر اليوم»، والعرب تطلق لفظة اليوم على النهار كما هو معلوم.

الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة أن ينذر أقاربه من العذاب الأليم إن لم يؤمنوا، ويتبعوا ما جاء به من الهدى^(١).

ويلاحظ من خلال النظر في تفسير هذه الآية الكريمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد باشر تنفيذ ما أمره الله تعالى به في أول النهار، وبالتحديد في الصباح.

يدل على ذلك ما جاء في سبب نزول سورة المسد، وذلك أنه لما أنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا، فصعد عليه، ثم نادى: يا صباحاه! فاجتمع إليه الناس: من بين رجلٍ يجيء، ورجلٍ يبعث رسوله. فقال: يا بني عبد المطلب! يا بني فهر! يا بني لؤي! لو أخبرتكم: أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟! قالوا: نعم. قال: فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد. فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم! ما دعوتنا إلا لهذا؟! فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(٢).

ويستنبط من سبب النزول مما يدل على أن الدعوة كانت نهائية أمران، الأول: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما استدعى عشيرته نادى قائلاً: «يا صباحاه»، وهذا يعني أن وقت الدعوة كان صباحاً، الثاني: أن أبا

(١) انظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ٥٠٨/١.

(٢) أسباب النزول، الواحد ص ٤٩٩.

لمسات إعجازية في النهار

ميز الله تعالى القرآن الكريم بعدة ميزات من ضمنها أنه الكتاب السماوي الخالد، وما كان لهذه الميزة أن تكون لولا أن الله تبارك وتعالى تعهد بحفظه.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَظِيرُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وتعتبر هذه الميزة للقرآن الكريم من أجل ما أكرم الله تعالى به أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ فهي السلاح الذي يدافعون به عن دينهم ضد كل من تسول له نفسه أن ينتقص من شأن هذا الدين العظيم، ومما يزيد هذا السلاح فعالية كون القرآن الكريم معجزاً، وبهذا يكون القرآن الكريم كتاباً سماوياً خالداً معجزاً، ويتمثل إعجاز القرآن في أنه لم يتمكن أحد من الخلق على أن يأتي بمثله، ولا حتى بواحدة من أقصر سورته، ومن المعلوم أنه قد جرت سنة الله تعالى في المعجزات أن يتحدى كل قوم بأمر يكون من جنس ما برعوا به، فقوم موسى عليه السلام برعوا في السحر، فأيده الله تعالى بالعصا التي دحضت سحر قومه، وقوم عيسى عليه السلام برعوا في الطب، فأيده الله تعالى بإعطائه القدرة على إبراء الأكمه والأبرص، وقد برع قوم محمد صلى الله عليه وسلم بالفصاحة والبلاغة، فأيده الله تعالى بالقرآن

العظيم الذي أبهر بفصاحته وبلاغته جموع من شهدت لهم الدنيا بالفصاحة والبلاغة.

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

عَبَّرَ الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن الشمس بالسراج، وهذا يدل على أن الشمس عبارة عن نجم، والنجم كما هو معلوم عبارة عن جرم سماوي ملتهب، وبالتالي فهو يشكل مصدرًا للضوء، بينما لم يعبر ربنا جل وعلا عن القمر بالسراج؛ لأن القمر عبارة عن جرم سماوي معتم، وبالتالي فلا يشكل مصدرًا للضوء، وإنما يشكل مجرد عاكس للضوء الذي يأتيه من الشمس، وهذا هو السر الكامن وراء وصف القمر بأنه منير^(١).

وتعد هذه الآية من أقوى الأدلة العلمية على صدق الوحي والنبوة، إذ كيف لمحمد صلى الله عليه وسلم الذي كان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، والذي لم يثبت عنه أنه درس علوم الفلك أن يعرف بأن الشمس عبارة عن نجم ذاتي الإضاءة، وأن القمر عبارة عن جرم سماوي يعمل على عكس أشعة الشمس إلى الأرض ليلاً، لولا أن الله تعالى أوحى له بذلك؟

(١) انظر: مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم ص ١٨١.

زمنية محدودة كفترتي الضحى والليل (٣).
ومن المعلوم أن من بلاغة القسم تناسبه
مع جوابه.
وقال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير:
١٨].

أعطى الله تعالى الصبح صفة من صفات
الأحياء وهي صفة التنفس، وهذا يعد من
قبيل إضفاء الحياة للجملادات، ولعل السبب
الكامن وراء تشبيه طلوع الصباح بعملية
التنفس هو القواسم المشتركة بينهما وهي
الحياة والحركة والتدرج (٤).

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّ لَهِمُّ أَيْلٌ نَسْلَخُ مِنْهُ
النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧].

يبين الله تعالى لعباده في هذه الآية
الكريمة أن السبب في ظلمة الليل هو عملية
سلخ النهار عن وجه الأرض، وبمجرد
أن تتم عملية السلخ يكون الظلام قد عم
وساد (٥).

ومن الملاحظ أن كلمة نسلخ جاءت
مناسبة للعملية التي تحدث أثناء حلول
الظلام بشكل تام، بحيث أنه لو استبدلت
هذه الكلمة بغيرها من الكلمات المرادفة لها
لما سدت الكلمة البديلة مسد كلمة نسلخ؛

وقال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ١ وَلَيْلٍ عَشْرِ ٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣ وَالْأَيْلِ إِذَا بَسَرَ﴾ [الفجر: ١-٤].

أقسم الله تبارك وتعالى في سورة الفجر
بعدة أمور من ضمنها الفجر الذي هو جزء
من النهار، على أنه سينصر أهل الإيمان على
أهل الكفر، وقد أضمر جواب القسم (١)
لدلالة السياق، وجَوُّ النزول عليه، أما
السياق فالحديث كان فيه عن إهلاك الأقوام
الفاجرة كعاد، وثمود، وفرعون، وبالتالي
فهو يتضمن التهديد والوعيد لكفار مكة، أما
الجو الذي نزلت فيه سورة الفجر فقد كان
عنوانه الاضطهاد والقهر للمؤمنين من قبل
أعداء الله الكافرين (٢).

ومن المعلوم أن الحذف من الإيجاز،
والإيجاز من البلاغة.

وقال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ١ وَالْأَيْلِ إِذَا سَبَّحَ ٢ مَا وَدَّكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَّ ٣﴾ [الضحى: ١-٣].

أقسم الله تعالى في سورة الضحى
بفترتين محددين من الزمن، الأولى هي فترة
الضحى، والثانية هي فترة الليل، على أنه لم
يترك نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما
روج المشركون، وأن فترة انقطاع الوحي
عن الرسول صلى الله عليه وسلم هي فترة

(٣) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن،
السيوطي ص ٣٤٦.

(٤) انظر: القرآن وإعجازه العلمي، محمد
إسماعيل إبراهيم ص ٢٥.

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري ٥١٦/٢٠.

(١) هذا الكلام على مذهب من قال بإضمار
جواب القسم في سورة الفجر.

(٢) انظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق
الإعجاز، يحيى بن حمزة الطالبي ٦٢/٢.

شتاء، وكذلك اختلاف مغرب الشمس صيفاً عن مغربها شتاءً ذكر المشرقين والمغربين بالتثنية، ولما أراد بيان اختلاف مشرق الشمس في كل يوم عن باقي الأيام بسبب اختلاف موقع الشمس الناجم عن دورانها في الفلك الخاص بها، وكذا الأمر بالنسبة لمغربها ذكر المشارق والمغارب بالجمع^(٢).

موضوعات ذات صلة:

الآيات الكونية، الأرض، الشمس، القمر، الليل، النور

فعملية السلخ في الأصل تعني كشط الجلد عن الدابة بعد تذكيتها، وأثناء عملية السلخ يظهر لحم الدابة رويداً رويداً حتى ينفصل الجلد عن اللحم بصورة تامة عندما ينتهي الجزار من عملية السلخ، وهذا ما يحصل مع الليل والنهار، فسطح الأرض معتم بالأساس، وعندما تطلع الشمس فإن أشعتها تضيء ذلك السطح المعتم، فإذا جاء الليل تبدأ أشعة الشمس بالتلاشي شيئاً فشيئاً حتى يتم انفصال النهار بشكل تام عن الليل فيحل الظلام الدامس^(١).

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ إِلَهِ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧].

وقال تعالى: ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠].

والملاحظ أن الله تعالى ذكر المشرق والمغرب بالافراد في سورة البقرة، وذكر المشرقين والمغربين بالتثنية في سورة الرحمن، وذكر المشارق والمغارب بالجمع في سورة المعارج، والسبب في ذلك هو أن الله تعالى لما أراد الحديث عن جهتي الشرق والغرب ذكر المشرق والمغرب بالافراد كما في سورة البقرة، ولما أراد بيان اختلاف مشرق الشمس صيفاً عن مشرقها

(٢) انظر: لباب التأويل، الخازن ٤ / ١٥.

(١) انظر: العين، الفراهيدي ٤ / ١٩٨.